دراسة تاريخية في الأسس والأفكار للحركات التكفيرية

أ. د. حسين عبد المحمدي
م. د. اسماعيل الشويلي
قسم التاريخ– جامعة المصطفى العالمية'– قم المقدسة

بسم الله الرحمن الرحيم

الملخص

تتلخص فكرة هذا البحث الذي يعد دراسة تاريخية في بيان الحركات التكفيرية، وجذورها وافكارها، والذي تجسدت فيه اللمسات الفقهية والعقائدية، والتاريخية ، والذي يحتوي في طيّاته العديد من المسائل المهمة، حيث تطرّقنا إلى نشأة الحركات التكفيريّة وانتشارها في العالم الإسلامي، وخصائص المنهجيّة التكفيرية، والأدلة التي استندت إليها هذه الحركات، وعلاقتها مع الفرقة الوهّابيّة، ودور السلفية والوهابية في نشأتها, وعلاقة الحركات التكفيرية مع التيارات السياسية، والاستعمارية، والدعم المادي لها، في سبيل استغلالها لخدمة المعسكر الكافر، ودور علماء المسلمين، والحوزات العلمية والهيئات الإسلامية في التصدي للحركات التكفيري، والفكر المنحرف وإدانته ونبذه.

ومعالجة ما يقع منها من تطرف وإرهاب عن طريق المحاضرات والبيانات والندوات وتحذير المسلمين من سبل أهل الضلال والزيغ والانحراف والتكفير والغلو.

الكلمات المفتاحية: الفكر، الحركة، الكفر.

المبحث الاول: تعاريف عامة

تعريف الفكر لغة واصطلاحا

الفكر لغة

عرفه ابن منظور بانه: >إعمال الخاطر في الشّيء والجمع أفكار وقد فكَر في الشّيء وأفكر وتفكَّر ورجلٌ فِكِّيرٌ: كثير الفكر<[1].

(1) انظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين ، لسان العرب، ص65.

الفكر اصطلاحا

اما في الاصطلاح فقد عرف: >بأنه ترتيب أمور معلومة لتحصيل الأمر المجهول<[2].

تعريف الحركة لغة واصطلاحا

الحركة لغة

من الناحية اللغوية، جاء في الصحاح في اللغة للجوهري: الحركة: ضد السكون: وحركته فتحرك. ويقال: ما به حراك، أي حركة[3].

الحركة اصطلاحا

يقول فتحي عثمان: >يقصد بالحركة الإسلامية المعاصرة الحركة أو الحركات التي ظهرت بعد الربع الأوّل من القرن العشرين الميلادي / أواخر النصف الأوّل من القرن الرابع عشر الهجري. فمنذ ذلك التاريخ برزت حركات إسلامية معاصرة لها الطابع التنظيمي الحديث وإن لم يضعف الأثر الشخصي للزعامة الجماهيرية، وقد عملت هذه الحركات على تحريك الجماهير<[4]. والمقصود بالحركات الإسلامية عموما، مجموعة التنظيمات المتعددة المنتسبة إلى الإسلام والتي تعمل في ميدان العمل الإسلامي في إطار نظرة شمولية للحياة البشرية وتحاول التأثير في كل نواحي حياة المجتمع من أجل إصلاحها وإعادة تشكيلها وفق المبادئ الإسلامية[5].

النتيجة:

وبناء على هذه التعاريف التي ذكرت في الاصطلاح يمكن ان نستنتج منها، ان الحركات التكفيرية، هي حركات مخالفة للتيارات الاسلامية المعتدلة، وهي حركات مخالفة لقيم الاسلام الحنيف، جاءت باسم الدين، او تحت ستار الدين، وهي طوائف تتبنى العنف، والقتل، في تعاملها مع الآخر المخالف لها في العقيدة والمذهب.

(2) الشاهرودي، محمود، دراسات في علم الأصول، ج1، ص124.

(3) الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح ، ج4، ص1579.

(4) عثمان، محمد فتحي، التجربة السياسية للحركة الإسلامية المعاصرة، ص21.

(5) الشاوي وآخرون، الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية، ص١٧٩.

تعريف الكفر لغة واصطلاحا

الكفر لغة

يقول ابن فارس: >الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد وهو الستر والتغطية<[6].

الكفر اصطلاحا:

قال الإيجي: >الكفر وهو خلاف الإيمان فهو عندنا عدم تصديق الرسول في بعض ما علم مجيئه به ضرورة<[7].

وقال ابن ميثم البحراني: >الكفر هو إنكار صدق الرسول9 وإنكار شئ مما علم مجيئه به بالضرورة[8]<. والميزان عند هؤلاء هو إنكار ما علم مجيئ الرسول به من دون أن يشيروا إلى ما هو المعلوم مجيئه به، ولكن السيد الطباطبائي اليزدي قد أشار إلى رؤوس ما جاء به، قال في العروة الوثقى: >الكافر من كان منكرا للألوهية أو التوحيد أو الرسالة أو ضروريا من ضروريات الدين مع الالتفات إلى كونه ضروريا بحيث يرجع إنكاره إلى إنكار الرسالة<[9].

المبحث الثاني: نشأة الحركات التكفير قديماً وحديثا في الامة الإسلامية

اولا: نشأة التكفير قديماً

إن من ينظر في تاريخ هذه الامة يجد أن ظاهرة التكفير بداءة مبكرا في الامة الاسلامية، إذ المحققون والمؤرخون يقولون: إن أول تكفير ظهر في هذه الامة هو تكفير مانعي الزكاة التي قامت على يد خالد بن الوليد الذي حكم على الصحاب الجليل مالك بن نويرة واصحابه بالكفر والارتداد، فقتلهم صبراً وسبي نساءهم المسلمات واستباحة الفروج والأموال، مع أن مالكاً لم يعتقد خلافا ولم ينكر أصلا من الأصول ولم يعلن حربا ولم يظهر خلافا، وإنما منع الخليفة الزكاة وقسمها في فقراء قومه، فصار مانع الزكاة لأبي بكر كافرا مستحقا للقتل ومرتدا[10].فالتكفير ظاهرة قديمة تعود بداية ظهورها إلى.

(6) ابن فارس، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج5، ص191.

(7) الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن، المواقف، ص388.

(8) البحراني، كمال الدين ميثم بن علي، قواعد المرام في علم الكلام، ص171.

(9) اليزدي، محمّد كاظم الطباطبائي، العروة الوثقى، كتاب الطهارة، مبحث النجاسات،ص65.

(10) انظر: الميانجي، علي الأحمدي، الأسير في الإسلام، ص177.

1. تكفير مانعي الزكاة([11])

2. الخوارج وتكفيرهم المسلمين

والخوارج يقال لهم: (الحرورية) نسبة إلى قرية خرجوا منها يقال لها: حروراء. وكل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، او كان بعدهم على التابعين باحسان، والأئمة في كل زمان[12]. وهذا هو التعريف العام، اما التعريف الخاص، هم الطائفة التي خرجت على علي بن ابي طالب7 في صفين يوم التحكيم [13]. ولما اختلفت الخوارج صارت عشرين فرقة[14]. ويجمعهم القول بالتبرئ من علي7.

معتقدات الخوارج

ومن أهم عقائد الخوارج هو تكفير من يرتكب الذنوب الكبيرة، ولهذا المعتقد دور مؤثر في تطوير علم الكلام، وهناك آراء ومعتقدات ذكرت للخوارج في الكتب، فمنها:

تكفير من يرتكب الذنوب الكبيرة: أول عقيدة المتفق عليها عند الخوارج، هو تكفير من يرتكب الذنوب الكبيرة[15]، وهناك فرقة متطرفة بين الخوارج تسمى الأزارقة تشددت في هذا الجانب، وتعتقد إن من يرتكب الذبوب الكبيرة ليس له أن يتوب، ويؤمن مرة أخرى، ولا بد أن يقتل هو وأولاده بسبب ارتداده وهو مخلد في النار[16].

(11) انظر: ابو الهيجاء، مقاتل بن عطية، أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد، ج2،ص174. الميلاني، علي أصغر بن نور الدين، الإمامة في أهمّ الكتب الكلاميّة وعقيدة الشيعة الإماميّة ،ص٨٢ ،٩٠.

(12) الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، ج1، ص114.

(13) الأشعري، أبو الحسن، مقالات الاسلاميين، ج1، ص167.

(14) البغدادي، أحمد شمس الدين، الفرق بين الفرق، ص24.

(15) الرازي، أبو حاتم، كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، قسم 3، ص282. البغدادي، أحمد شمس الدين، أصول الدين، ص332. البغدادي، أحمد شمس الدين، الفرق بين الفرق، ص73. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج2، ص113.

(16) الأشعري، سعد بن عبد الله، المقالات والفرق، ص85، 86. البغدادي، أحمد شمس الدين، الفرق بين الفرق، ص82، 83. الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، ج1، ص140، 141.

الإمامة: يعود نظرة الخوارج للإمامة إلى نظرتهم حول المرتكب للكبيرة من الذنوب، وبناء عليه من يرتكب الذنوب الكبيرة لا يمكنه أن يتولى إمامة المسلمين، وإذا تقلد هذا المنصب فعلى المؤمنين الخروج عليه[17]، كما أن أكثر الخوارج يخالفون أن تكون هناك منصبا للخلافة بعد النبي9، ويعتقد من يعمل بالكتاب والسنة هو يتأهل لمنصب الإمامة، وينعقد إمامته حتى بمبايعة شخصين معه فحسب[18]، وكانوا يعتقدون باختيار الإمام[19]

الأفكار الفقهية: وردت بعض من الآراء الفقهية لفرق الخوارج، منها: رجم الزانية، جواز قتل أطفال المخالفين ونسائهم، الاعتقاد بأن أطفال المشركين يدخلون النار مع آبائهم، ورفض التقية بالقول والعمل[20]، وبناء على معتقد الأزارقة يجب قتل من لم ينتم إلى الخوارج، بينما يحرمون قتل النصارى والمجوس واليهود[21].

ثانيا: نشأة التكفير حديثا

اولا: الفرقة الوهابية

انطلاقاً من مبدأ لكل سبب مسبب فإننا نؤكد على أن انتشار طاهرة التكفير، وأن أفكار الجماعات الإرهابية والتكفيرية، هي ليست وليدة الساعة، إنما هي ذاتها وليدة أفكار الفرقة الوهابية الضالة المضلة التي تحكم السعودية. وهي موجودة منذ انتشار أفكار ابن تيمية ثم جرى إحياؤها مع محمد بن عبد الوهاب واتباعه، وهي فرقة تدعو إلى القتل والإكراه والإجرام والإرهاب، والإفراط في تكفير وتضليل كل من هو على اختلاف معهم من أهل السنة والجماعة[22]، وتكفير أئمة الشيعة الإمامية وأكثر الصوفية، وغيرهم من الطوائف الإسلامية[23].

ومن أشهر رموز الوهابية المعاصرين ابن باز وابن عثيمين وابن بابطين وابن فوزان وأبو بكر الجزائري وغيرهم.

وهذه الرموز جميعها من الجزيرة العربية وقد أصدرت الكثير من الكتابات والفتاوى التي قوة عرش الفرقة الوهابية وبالتالي خدمة الحركة التكفيرية[24].

---

(17) البغدادي، أحمد شمس الدين، الفرق بين الفرق، ص73. الإسفراييني، طاهر بن محمد، التبصير في الدين وتميز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، ص26.

(18) الأشعري، سعد بن عبد الله، المقالات والفرق، ص8. النوبختي، أبو محمد الحسن بن موسى، فرق الشيعة، ص10.

(19) الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، ج1، ص134.

(20) الشهرستاني، مصدر سابق، ج1، ص140- 141.

(21) ابن حزم، ، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج4، ص189.

(22) انظر: الرفاعي، يوسف، نصيحة لإخواننا علماء نجد، ص2. يقول مفتي الشافعية في مكة الشيخ أحمد زيني دحلان في كتابه فتنة الوهابية، ص4: (وألف لهم ـ ابن عبد الوهاب ـ في ذلك رسائل حتى اعتقدوا كفر أكثر أهل التوحيد).

(23)الرفاعي، يوسف، مصدر سابق، ص15.

(24) انظر: الورداني، صالح، فرق أهل السنة جماعات الماضي وجماعات الحاضر، ص168.

المبحث الثالث: حرمة تكفير أهل القبلة

(تكفير أهل القبلة)؛ ونعني به تكفير المسلم القائل بالشهادتين والمتوجه إلى القبلة في [[صلاته]]، والمقصود به في علم الفقه والكلام نسبة الكفر إليه ظلماً وجوراً، وان تكفير أهل القبلة مرفوض كتاباً وسنة، حيث وردت آيات كثيرة في القران الكريم، ومن السنة الشريفة من الأحاديث والمواقف الدالة على النهي الشديد عن تكفير أهل القبلة وأهل الشهادتين وقتالهم، كما سنبين.

اولا: حرمة التكفير من وجهة نظر القرآن الكريم

في آيات عديدة يتّخذ القرآن الكريم موقفاً واضحاً إزاء ظاهرة التكفير والقتل والفساد والنهب يتمثّل في رفض هذه الأعمال ونبذها، حيث يعتبر أنّ قتل أي إنسان، إن لم يكن قصاصا لقتل إنسان آخر، أو لم يكن بسبب جريمة الإفساد في الأرض، فهو بمثابة قتل الجنس البشري بأجمعه، كما أن إنقاذ أي إنسان من الموت، يعد بمثابة إنقاذ الإنسانية كلها من الفناء، حيث تقول الآية الكريمة: **{مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا}**[25].

هذا هو المنطق القرآني الذي يعتبر صراحة أنّ من يقتل إنسانا بريئا ويلطخ يده بدم برئ يكون – في الحقيقة – مستعدا لقتل أناس آخرين يساوونه في الإنسانية والبراءة، فهو – في الحقيقة – إنسان قاتل، وضحيته إنسان آخر برئ، ومعلوم أنه لا فرق بين الأبرياء من الناس من هذه الزاوية. كما أن أي إنسان يقوم – بدافع حب النوع الإنساني – بإنقاذ إنسان آخر من الموت، يكون مستعدا للقيام بعملية الإنقاذ الإنسانية هذه بشأن أي إنسان آخر، فهذا الإنسان المنقذ يحب إنقاذ الناس الأبرياء، لذلك لا فرق لديه بين إنسان برئ وآخر مثله[26].

وغيرها من الآيات التي تنهى عن اذية المؤمن فضلا عن قتله ، اعرضنا عنها مخافة الاطالة

ثانيا: حرمة التكفير من وجهة نظر أحاديث أهل السنّة

مضافاً إلى الأحاديث التي مرّت في تفسير الآيات والمقتبسة عن مصادر أهل السنة، ثمّة أحاديث أخرى وردت في صحاحهم تفيد أنّه لا يحقّ للمسلم تكفير أخاه المسلم.

(25) سورة المائدة، الآية: 32.

(26) انظر: الشيرازي ، ناصر مكارم ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ج ٣ ، ص 683- ٦٨٥.

جاء في صحيح البخاري عن النبي9، قال «**من حَلَفَ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ كَاذِبًا فَهُوَ كما قال وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيءٍ عُذِّبَ بِهِ في نَارِ جَهَنَّمَ وَلَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ وَمَنْ رَمَى مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ**»[27].

وطبقاً لهذا الحديث الشريف فإنّ وزر تكفير المؤمن يعادل قتله، وكما سبق أن ذكرنا، فإنّ جزاء من قتل مؤمناً، طبقاً للنصوص الصريحة في القرآن الكريم، أن يخلد في جهنّم ويبوء بغضبٍ من الله وأن ينال العذاب العظيم.

وينقل مسلم النيشابوري في صحيحه حديثاً عن الصحابي الجليل أبي ذر; جاء فيه >عن أبي ذَرٍّ أَنَّهُ سمع رَسُولَ اللَّهِ9 يقول: «...مَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكُفْرِ أو قال عَدُوَّ اللَّهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ إلا حَارَ عله<[28].

يشرح ابن دقيق العيد هذا الحديث قائلًا: وهذا وعيد عظيم لمن أكفر أحداً من المسلمين وليس كذلك وهي ورطة عظيمة وقع فيها خلق كثير من المتكلمين ومن المنسوبين إلى السنّة وأهل الحديث لما اختلفوا في العقائد فغلظوا على مخالفيهم وحكموا بكفرهم وخرق حجاب الهيبة في ذلك جماعة من الحشوية وهذا الوعيد لاحق بهم إذا لم يكن خصومهم كذلك[29].

المبحث الرابع: الأدلة التي استندت إليها الحركات التكفيرية

من الأدلة التي استدل بها التكفيريون على تكفير الأمة الإسلامية وإرجاعها إلى الجاهلية الأولى، هي نواقض الإيمان والتي تشمل بعض الأصول والفروع، التي انطلقوا منها في تطوير الأفكار المنحرفة وتحديث مقولات الخوارج القديمة وهو اصطلاح مبتكر جديد سموه (نواقض الإسلام) أو (نواقض الإيمان) حيث يسردون تحته عشرة بنود يزعمون أنها ميزان شرعي دقيقً في قياس مدى التزام المسلم بدينه، وقد ورد وصفها بذلك في كلام بعضهم بأنها: >أشياء تخرج المسلم من دائرة لإسلام، وتحكم عليه . إذا ارتكبها . بأنه مرتد عن ملة التوحيد».

ومن أهم هذه البنود: (الشرك في العبادة)، و(التوسل)، و(موالاة غير المسلمين)، و(السحر)، أو القول:(بخلق القرآن). أو القول: (بالعلو، أو الجهة، أو المكان) أو (من لم يُكَفِّر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم)، و(التحاكم إلى القوانين الوضعية)، و(الإعراض عن دين الله تعالى لا يتعلمه ولا يعمل به)، و(الاستهزاء بالله ورسوله وبالأحكام الشرعيَّة)، فمن لم يعتقد بهذه البنود فهو كافر أو مشرك معطل جهمي أو

---

(27) البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، ج5، ص2264، ح 5754، كتاب الأدب، بَاب من أكفر أَخَاهُ بِغَيْرِ تَأْوِيلٍ فَهُوَ كما قال.

(28) النيشابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ج1، ص79، ح 61، كتاب الإيمان، بَاب بَيَانِ حَالِ إِيمَانِ من رَغِبَ عن أبيهو هو يَعْلَمُ.

(29) ابن دقيق العيد، محمد بن علي، إحكام الأحكام، ج4، ص76.

رافضي، وغيرها من التسميات التي يراد منها الكفر الجلي المخرج من الملة. والمتأمل فيها أنها عبارة عن أحكام مطلقة ذات طبيعة جدلية؛ وأن أحكامهم المبنية على هذه النواقض هي بمثابة الدعاوى الفاسدة التي يستدلون لها بآيات أنزلها الله تعالى فى المشركين ويجعلونها في المسلمين كشأن سلفهم الخوارج، بل ويبررون ذلك بنقولات عن العلماء لها ملابساتها الخاصة مع عدم ضبط مدلولات ألفاظهم وفهمها فهمًا صحيحًا. ([30]).

المبحث الخامس: دواعي الجهاد عند الحركات التكفيرية

لاشك أن هناك دواعي وعوامل مساعدة أدت إلى نهضة الحركات التكفيرية، أو ما يسمى عندهم ب> الجهاد< التي تشغل عالم اليوم، وسنذكر اهم هذه العوامل من خلال هذه النقاط.

اولا: محاربة الثورة الإسلامية في إيران

أدى انتصار الثورة الإسلامية في ايران وعودة الإسلام المحمدي الأصيل، على مسرح السياسة الدولية إلى المزيد من القلق عند أصحاب الاتجاه التكفيري المتقاطع مع المصالح السلطوية الذي أدى إلى استنهاض هذا المشروع لمواجهة ما أسموه حركة التشيع ولاحقاً الهلال الشيعي الذي أطلقه الملك عبد الله الأردني سنة 2004[31]. وقد بذل الاستكبار العالمي المتمثل بأمريكا المجرمة جهوداً مضنية، وضحى كثير منهم بالنفس والمال في سبيل اضعاف الثورة الاسلامي و محاربتها بالتيارات التكفيرية.

ثانيا: محاربة الحشد الشعبي وحزب الله اللبناني

إن انتصارات المتلاحقة لحزب الله وتماسك محور المقاومة لإسرائيل. الذي نُظر له على انه محور شيعي >بالمناسبة كانت حماس المتحالفة مع حزب الله وإيران وسوريا يطلق عليها الاتهامات مثل (التشيع في فلسطين . بناء الحسينيات الخ..) هذه المقاومة التي أذهلت القريب والبعيد. أطلقت بعداً ثقافياً مهماً. وهو استنهاض الأمة وقدرتها على كسر الجيش الذي لا يقهر. وهذا ما أدى في تقاطع المصالح إلى محاولة الحد من نفوذه الأخلاقي ـ القيمي عند جمهور العرب والمسلمين في حركة دؤوبة لتشويه سمعة حزب الله. هذه الانتصارات شجع هذا الفريق إلى بث أجواء التكفير والمذهبية لمواجهة هذا الحزب الذي لطالما آمن بالوحدة الإسلامية وعمل

(30) انظر: ابن باز، عبد العزيز، نواقض الاسلام،ص75. محمد بن عبدالوهاب، مجموعة الرسائل، رسالة نواقض الإسلام، ج 1 ، ص 231 ،. 243 .

(31) مجموعة باحثين، جماعات العنف التكفيري، الجذور، البنى، العوامل المؤثرة، ص423.

عليها»[32]. وكذا الحشد الشعبي الذي قاتل الوجود الأمريكي بعد عام 2003 ،وداعش، مثل قوات بدر ، وجيش المهدي ×، والعصائب وكتائب حزب الله العراقي، وهي في الوقت ذاته تمثل القوة الضاربة ضد كل معتدي على مقدسات واراضي العراق، لذا تجد نفسها الان مهددة من القوى الاستكبارية والاستعمارية.

ثالثا: تفكك الدول الاسلامية وضعفها

أدت الهزائم المتلاحقة والاهتزازات الداخلية لبلداننا وما رافق ذلك من الضعف الاقتصادي والبنيوي في معظم هذه الدول. إلى انتشار الفكر الديني السلفي (إعلام . أموال . انتصارات في أفغانستان) وهذا ما يعتبر فرصة كبيرة لهذا الخط وما نظرية إدارة التوحش إلا مثالاً على كيفية استفادة هذه التيارات من ضعف مركزية الدولة مستفيدة أيضا من التفكك العربي الأضغان التي تحملها الدول العربية لبعضها البعض[33].

المبحث السادس: استفادة الاستعمار من الحركات التكفيرية

إن الحركات التكفيرية هي إفرازات شريرة للاستعمار بغية ضرب الدول الإسلامية وبث الفتن ونشر الرعب والقتل والتشريد في صفوف المدنيين خدمة للمشروع الصهيوني في تفتيت بلادنا وضرب مكامن القوة في بلادنا.

وقد استفاد الاستعمار الغربي من الحركات التكفيرية، وجعلها أداة في خدمة مصالحه الاستراتيجية، قديماً وحديثاً.

فالاستعمار القديم وعلى رأسه إنكلترا، استفاد من الفكر التكفيري في حربه ضدّ السلطنة العثمانية، وألمانيا النازية، لقاء دعمه في بيئته، وتمكينه من أعدائه، وتزويده بما يحتاج لقهر خصومه، لوصوله إلى السلطة، ولحماية هذه السلطة مستقبلياً، كونها تفتقر إلى المشروعية الشعبية، وهي وليدة تحالف قوى الاستعمار الغربية، والقوى الرجعية العربية.

وجاء الاستعمار الجديد، المتمثل في القوة الصاعدة بعد الحرب العالمية الثانية، الولايات المتحدة الأميركية، ليكمل هذا المشروع، بتكتيك مختلف، لكن تبقى الأهداف واحدة، في الاستلاب، وتكريس التبعية[34].

ويأتي الاستعمار بفكرة جديدة اطلق عليها مشروع ((الدولة الإسلامية)) كعصب لتأسيس تنظيم (داعش) الإرهابي الذي يرى نفسه ممثلاً حصرياً عن الإسلام والمسلمين، وأن ما يقوم به وينطلقون منه هو الإسلام الصحيح الذي يخدم مصالح الأمة ويحقق عزها[35]، وأن دولتهم تجمع ما بين الشام والعراق في دويلة دينية،

---

(32) مجموعة باحثين، جماعات العنف التكفيري، المصدر السابق، ص423.

(33) جماعات العنف التكفيري، الجذور، البنى، العوامل المؤثرة، المصدر السابق، ص423.

(34) صحيفة النبأ اللبنانية، العدد 200.

(35)النجار، ناجح إبراهيم، داعش.. السكين التى تذبح الإسلام، ص11، 13.

والتي أخذت مفهوم الجهاد العقدي الذي خرج من رحم المؤسسة السلفية الوهابية بكل طوائفها، وكان للتخطيط والتدريب والتسليح من قبل المخابرات المركزية الأمريكية دور رئيس في ولادة الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) وأخواتها مثل جبهة النصرة فرع القاعدة في سوريا أو ما يطلق عليه (الجبهة الإسلامية) وغيرها من المنظمات الإرهابية في مختلف البلدان العربية والإسلامية والأفريقية مما جعل الولايات المتحدة تتباهى بمشروعها في الشرق الأوسط الجديد القائم على أسس عرقية ودينية وطائفية.[36].

المبحث السابع: تمويل الحركات التكفيرية مادياً ولوجستياً[37]:

تعد مسألة تمويل الحركات التكفيرية من اهم القضايا المهمة، التي ساهمت في بقائهم لسنوات طويلة، وقد اعتمدت التنظيمات التكفيرية المسلحة على الدعم اللوجيستي والدعم المالي اللازم للقيام بعملياتها المعينة، واهم المصادر التي كانت ولازالت تموّلها هي:

1. **تبرعات أثرياء الخليج العربي:** حيث ذكر تقرير صادر عن وزارة الخارجية الأمريكية في شهر يونيو الماضي وجود عدد كبير من الأثرياء والشخصيات الخليجية التي دعمت ومولت الأنشطة الإرهابية في كلٍّ من العراق وسوريا، ووفقًا للتقرير هناك (28) شخصية سعودية، و(12) عراقية، و(5) من الكويت، إلى جانب عدد آخر من قطر والإمارات والبحرين وقطر.

2. **التمويل الدولي:** طبقًا لتقرير وزارة الخارجية الأمريكية في شهر يونيو الماضي وجد أن التمويل الذي تحصل عليه داعش يأتي من حوالي 31 دولة عبر العالم، من: الخليج، وباكستان، والجزائر، وتركيا، ومصر، ولبنان، وغانا، والسودان، وبريطانيا، والسويد، وهولاندا، وأستراليا، والسنغال، وتايلاند، وبنجلاديش، وغيرها من الدول؛ حيث تعتمد داعش والنصرة على شركاء محليين مسجلين تحت أسماء وهمية، وتمارس نشاطها من وراء ستار قانوني وشرعي[38].

وتأتي دولة تركيا بالصدارة في الدعم الكبير الذي قدمته في شكل كميات كبيرة من الأسلحة الثقيلة، وقامت المخابرات المركزية الأمريكي CIA، بتسهل تقديم هذا الدعم من الحكومة التركية. وذكرت صحيفة «وورلد تريبيون» أن تركيا ضالعة في تسليح المتطرفين منذ انفجار حركتهم في الأنبار حيث قمعتهم «الصحوات» التي

(36) إدريس، محمد السعيد، الحرب على طالبان العرب ، ص56، 65.

(37) انظر: باتريك كوكبيرن، داعش عودة الجهاديين، ص69. أبو زيد، أحمد محمد، من التبرعات إلى النفط:كيف تحول (داعش) إلى أغنى تنظيم إرهابي في العالم ؟، www. rcssmideast. org/Article.

(38) مركز نون، خطاب الولي، 18 / 10 / 1385.

شكّلت من رجال العشائر، وأن «داعش» بدأ منذ مطلع عام 2013 يحصل على أسلحة ومعدات عسكرية عبر البوابة التركية ومن خلال تجار أتراك وأن كميات كبيرة وصلت إليه من رومانيا وبلغاريا وكرواتيا[39].

وبالتالي إن هذه التيارات تتلقى الدعم ويتم تقويتها من قبل أجهزة التجسس الأمريكية والبريطانية والكيان الصهيوني: لعدو يغذيهم ماليا؛ أجهزة التجسس الأمريكية والإسرائيلية وراء هذه المجموعات التكفيرية والإفراطية، وإن كان عملاؤها وجنودها لا علم بما هو وراء الأمر[40].

المبحث الثامن: الحركة التكفيرية، آثارها وأخطارها على المجتمع الإسلامي

وحسبنا أن نقف عند بعض الآثار التخريبية التي خلفتها الحركات التكفيرية، في السنوات الأخيرة، من الدمار والحرق والقتل والتفجير والتهجير، وتأثيرها السلبي على الحياة السياسية، والاقتصادية والتنموية في الحياة البشرية. وسنشير إلى أبرز هذه الآثار التي شهدتها بعض الدول العربية والإسلامية من خلال هذه النقاط.

أوّلا: تدمير اقتصاد الدول المسلمة

أنّ هذه الحركة المثيرة للفتنة، التي أوجدت هذا التيّار التّكفيريّ في البلدان الإسلاميّة . في العراق وسوريّا وليبيا ولبنان وبعض الدّول الأخرى، أدّت إلى تخريب البُنى التحتيّة المهمّة لهذه الدّول. فانظروا إلى عدد الشّوارع والمصافي والمناجم والمطارات والجادّات والمدن والبيوت التي تمّ تدميرها بسبب هذه الحروب الدّاخليّة، وعلى أثر كلّ هذا النّزاع بين الإخوة! فكم ينبغي أن يُصرف من وقت ومال وميزانيّات من أجل إرجاعها إلى وضعها السّابق؟! فكلّ هذه الأضرار والضّربات التي وُجّهت إلى العالم الإسلاميّ طيلة السّنوات السّابقة وإلى يومنا هذا، إنّما كانت بسبب هذا التيّار التّكفيريّ[41].

ثانيا: التفرقة بين المسلمين

كلما كان المسلون متوحدين بأفكارهم ومواقفهم، اصبحوا أقوياء في مواجهة العدو، وكلما تفرقوا شلت فعالياتهم وزاد هوانهم، فالأفكار الشاذة والآراء المتطرفة والأحكام التكفيرية ترمي بسهم في قلب الوحدة الإسلامية.

ويكفي أن نواجه أعداءنا الخارجين، وما كثرهم، أما في الداخل فيتعين أن نرص الصفوف، ونوحد الموقف، ونواجه أفكار التعصب بشجاعة عن طريق الحوار والتنفيد المنطقي.

---

(39) انظر: حمزة مصطفى المصطفى، جبهة النصرة لأهل الشام من التأسيس إلى الانقسام، ص14. الخورى تركيا و«داعش» بالجرم المشهود؟، جريدة الشرق الاوسط، العدد 13087.

(40) مركز نون، خطاب الولي، 18 / 10 / 1385.

(41) مركز نون، مصدر سابق 2014 م.

ومن هذا يتبين لنا أن هذه الأفكار تؤدي إلى نشر الفتنة، وتفريق الصف، وتمزيق الوحدة، الأمر الذي ينافي ما أمر فيه الشرع من وجوب الاجتماع وتحريم الافتراق[42]. حيث إن الحركات التكفيرية تشكل واحدا من أهم العوائم التي تحول دون مساعي الوحدة بين المسلمين؛ إذ إن فعل التكفير الذي يخرج شرائح واسعة من المسلمين من الدائرة الإسلامية ينسف أساس الوحدة بينهم ويعمق عدم الثقة ويفضي على أي توجه لجمع المسلمين وتوحيد كلمتهم، وهو من أهم المفاسد التي ترتبت وتترتب على ظاهرة التكفير سواء في التاريخ الإسلامي أو في واقعنا المعاصر[43].

ثالثا: الإخلال بالأمن العام

من الآثار التي تخلفها الحركات التكفيرية هو الإخلال بالأمن العام؛ وذلك لأنه يدعو إلى استخدام العنف، أو التصفية الجسدية، ضد كل من لا يؤمن بهذا المنهج وهذا الفكر[44]. ونتيجة لذلك إن التيّارات التكفيرية تؤدي إلى زعزعة أمن واستقرار العالم الإسلاميّ وهو ما ترتّب عليه الكثير من النتائج السلبيّة. وإن عدم رغبة الشركات الدوليّة الكبرى في الاستثمار في العالم الإسلاميّ هي احدى نتائج هذا الأمر. والنتيجة الأخرى لزعزعة استقرار العالم الإسلاميّ هي قيام سوق لبيع الأسلحة في بلدان العالم الإسلامي، وبزعزعة أمن المنطقة بسبب التيّارات التكفيرية، فإنّ بلدان المنطقة ستتجه نحو شراء الأسلحة من الغرب، وإن تكديس الأسلحة هو أحد أسباب الإحساس بعدم الاستقرار في العالم الإسلامي[45].

رابعا: سفك الدماء وقتل الأبرياء العزل

سلكت الحركة التكفيرية طريقاً دموياً يعد من أبشع الطرائق الوحشية، يعدم كل من له صلة بالدولة، ويحرقهم بدون رحمة أو رأفة، ويعامل الأقليات الدينية معاملة لا إنسانية، ويخرب الآثار التاريخية والإنسانية عن أمية مقيتة، وجهل مدقع، وسوء فهم للدين.

وقد ارتكبت الحركة التكفيرية عدة مجازر وحشية مروعة باسم التكفير، فقد قامت سنة 2015 م بخمس عمليات إرهابية وانتحارية، مثل: تفجير مساجد يحضرها الشيعة في أثناء أداء صلاة الجمعة في كلٍّ من مدينة الكويت، والقطيف، والدمَّام. ناهيك عن تفجير انتحاري استهدف الشرطة السعودية عند نقطة تفتيش. دون أن ننسى قتل عشرات السائحين في أحد المنتجعات التونسية، وتفجير أحد أسواق محافظة ديالى العراقية التي قتل

(42) السديسي، توفيق عبد العزيز، الامن الفكري والغلو، ص19.

(43) الشقير، محمد، ظاهرة التكفير المذهبي بين الديني والفقهي والسياسي، ص9.

(44) الخضير، إبراهيم بن حسن، من يحمل افكارا ضلالية يلجأ الى العنف لاقناع الاخرين بما يؤمن به، ص48.

(45) انظر: مجموعة مؤلفين، العقلانية الدينيّة ـ الجاهليّة المعاصرة، ص247.

فيها ما يزيد عن مائة وتسعين مدنيٍ. كما قامت حركة ولاية عدن أبين التي تفرعت عن القاعدة وأنصار الشريعة والموالية لداعش بتفجير ستة مساجد في اليمن، في أثناء أداء صلاة الجمعة في شهري أبريل، وقد أودت بما يزيد عن مائة وسبعين مصلٍ[46].

خامسا: تشوية صورة الإسلام

وفي خطة العمل التي يضعها العلماء والدعاة ينبغي أن يبرز هدف مهم يبين الأثر السلبي الذي تحدثه الحركات التكفيرية في الصد عن دين الله تعالى وإقناع غير المسلمين بان الإسلام لا يصلح ديناً يعتنقونه، لأنه في نظرهم دين يقوم على القتل والترويع والإتلاف، فسوء التصرفات هذا هو الذي يشوه سمعة الإسلام، فنحن امه الإسلام ينظر العالم الينا بعين فاحصة، حتى اذا ما وجد أعداء الإسلام في هؤلاء المسلمين خللاً أو تقصيراً سعو جاهدين لاستغلال هذا الخلل في طمس صورة الإسلام الحقيقي، وابرزوا هذا الخلل بكل وسيلة من وسائل الإعلام حقداً وزوراً، وهذا ما يحدث هذه الأيام ونشاهده عبر كل وسيلة إعلامية. فعلى العلماء والدعاة بيان ذلك للناس حتى لايحمل أحد معول هدم للدعوة والإسلام وهو يحسب أنه يحسن صنعاً ويرفع دين الله تعالي[47].

و من أجل أن تشوّه وسائل الإعلام الغربيّة صورة الإسلام، قامت بتصوير التكفيرين الذين يلجأون إلى العنف والإرهاب على أنّهم مسلمي الشرق الأوسط، وباستخدام هذه الأدوات الإعلاميّة القويّة حاولوا إلقاء فكرة أنّ الشرق الأوسط هو مركز أزمة بالنسبة إلى العالم، وإن سبب قيام الأزمة في هذه المنطقة هو وجود المسلمين فيها، واليوم يعتبرون الإسلام في الدعاية الغربيّة العدو الجديد للنظام الرأسمالي بعد الشيوعية. ومن أجل هذه الدعاية يحتاجون داعماً، وللأسف فإن التيّارات التكفيريّة صارت هي الداعم لهذه الدعاية المغرضة[48].

سادسا: تدمير المساجد الإسلامية والمعابد الدينية

قامت داعش بتدمير مرقدي يونس إضافة إلى عدد كبير من المراقد الدينية والمساجد التي يرتادها أتباع مُختلف الطوائف والكنائس المسيحية لأسباب طائفية وعقدية بحتة[49].

سابعا: تدمير الآثار التاريخية

وفي يوم الخميس المصادف 26 / 2 / 2015 نشرت داعش فيديو يقوم فيه رجالها بتحطيم الآثار الآشورية والكلدانية الموجودة في متحف الموصل التاريخي، وقد قاموا أيضا بتجريف مدينة النمرود الأثرية ومدينة الحضر

---

(46) انظر: الحمداوي، جميل، الحركات الإسلامية وسلاح التكفير، ص31.

(47) خليفي الخليفي، عبد الرحمن، وظيفة العلماء والدعاة في احتواء السلوك الارهابي، بحث منشور في: مؤتمر موقف الإسلام من الإرهاب، المنعقد في جامعة محمد بن أسعود الإسلامية بالرياض خلال الفترة من 1- 3 ربيع الأول.

(48)مجموعة مؤلفين، العقلانية الدينيّة ـ الجاهليّة المعاصرة، ص245.

(49) ناصح عبد القادر، العقيدة القتالية لداعش، المصدر السابق، ص132.

جنوبي الموصل. وفي 5أكتوبر 2015 قام عناصر داعش بتفجير قوس النصر الأثري في مدينة تدمر) بالميرا (ويأتي ذلك بعد قيام التنظيم بتدمير معبدي بعل) بل (وبعل شمين الأثريين مع الإشارة أن هذه المدينة مُدرجة في قائمة مواقع التراث العالمي كما قام التنظيم بسرقة وتخريب متحف المدينة إلى أن قام الجيش السوري بتحريرها يوم الأحد 27 مارس 2016[50].

المبحث التاسع: الموقف الصحيح اتجاه الحركات التكفيرية

يمكن معالجة الحركات المتطرفة والجماعات التكفيرية، المنتشرة في شرق عالمنا الإسلامي وغربه، تربويا واجتماعيا وعلميا وثقافيا وإعلاميا، ويمكن إن يواجه بأسلوب آخر أكثر فاعلية وتأثيرا، هذا ما نبينه في هذه النقاط التالية.

النقطة الأولى: تقوية الدور التربوي في التصدي للحركات التكفيرية

وأكثر ما يتبلور الدور التربوي في الأسرة، والمدرسة والجامعة، وفيما يلي بيان ذلك من خلال هذه الادوار:

دور الأسرة:

الأسرة مؤسسة اجتماعية حصيلة الزواج الشرعي، ويحرص الإسلام على بناء الأسرة على أسس شرعية متينة، اذ قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}**[51] فالأسرة مسؤولة عن عقيدة الأبناء وعن حمايتهم، ورعاية سلوكهم، كما أنها مسؤولة عن صحتهم العامة ومأكلهم ومشربهم ومتابعة تعليمهم، ومن ثم يتحقق التوازن التربوي للفرد بصورة سوية. وتعمل الأسرة جاهدة على تبصير أبنائها وبناتها بوجوب الالتزام بأحكام الإسلام، والتشبث بفرائضه، والحذر من الوقوع في الأخطاء السلوكية، والانحرافات الفكرية المخالفة للكتاب والسنة، والحذر من التقليد الأعمى[52]. فان التقليد الأعمى وضعف البصيرة هما عاملان أساسيان لكثير من الأزمات والعصبيات السالفة والحاضرة. ولا يزال التقليد الأعمى هو السد المنيع أمام قبول دعوات الأنبياء:. ولقد عانوا عليهم السلام جراء ذلك أشد المعاناة وهذا ما نشهده في عصرنا الحاضر حيث بقيت الحركات التكفيرية تتبع أقوال بعض العلماء المتطرفين من دون نظر وتدقيق وقبلوا كلامهم وكأنه نص منزل،

(50) العقيدة القتالية لداعش ، المصدر السابق، ص133.

(51) سورة النساء، الآية: 1.

(52) الشيخلي، عبد القادر، أسباب التكفير وأثاره وعلاجه، ص6169.

واتبعهم كثير من الشباب الذين جعلوا التقليد الأعمى منهجا في حياتهم ليتخلصوا من عناء التدبر والتتبع للتبصر في الدين، والتاريخ يعيد نفسه حيث كان التقليد الأعمى مانعا لاتباع الدين والآن أصبح مانعا لتطوره وفهمه فهما صحيحا[53].

دور المدرسة والجامعة:

المدرسة والجامعة مؤسستان تعليميتان وتربويتان، إذ تؤثران تأثيرا مباشراً فعالاً في البنية الشخصية للطالب؛ وذلك على أساس قيام المربي أو المعلم . ذكرا أو أنثى . بدوره على افضل وجه عن طريق إعداد الطلاب إعدادا شرعياً وأخلاقيا وعلميا، فالمدرسة وكذا الجامعة لهما دور كبير في العناية بالجوانب الفكرية والسلوكية للطالب، عن طريق تزويدهم بالمفاهيم الصحيحة والمعايير العلمية السلمية، ويتم ذلك بأن يتطابق سلوك المربي أو المعلم مع فكره الشرعي، وان يكون مخلصا في عمله؛ مرضاة لله والوصول إلى الصواب وإحقاق الحق، وان يكون صبورا على معاناة مهنة التعليم، وأن يكون صادقاً في عمله، قال تعالى **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ}**[54] ومن الضروري أن يتزود المربي أو المعلم لطلابه، بالحقائق الجديدة، والمعلومات الدقيقة؛ لكي يكون قدوة علمية لطلابه، فيحاورهم ويسدد أفكارهم، ويصوب آراءهم، فتكون لديهم ثقافة شرعية صحيحة، وعلمية حديثة لا يتسرب إليها الغلو أو التطرف أو الانحراف[55].

(53) الموسوي، كاظم راضي خضر، ظاهرة التكفير الجذور والأسباب، ص16.

(54) سورة الصف، الآيتان: 3، 2.

(55) اسباب التكفير واثاره وعلاجه، مصدر سابق، ص6171.

الدور العلمي والثقافي والإعلامي

ويتمحور في نقطتين:

1) الإعلام

الإعلام. (المسموع والمرئي والمقروء). يشكل الإعلام على اختلاف أنواعه اليوم حالة من الرقي في التواصل الإنساني، ويمكن استثماره استثماراً جيداً فهو الأسرع والأكثر استخداماً على النطاق الشعبي العام في العالم.. فلابد أن نوظف الإعلام توظيفا سديدا لنشر الحقائق الإنسانية، والمعلومات الصحيحة، وتعرية الأفكار الخاطئة أو الشاذة، اعتمادا على المنطق العلمي، ومقارعة الحجة بالحجة، إن أجهزة الإعلام تفعل نفس فعل أسلحة الدمار الشاملة، فهي تغير العقول، وتبدل الأفكار، وتغذي النفوس، أو تشوهها، وتنشر العواطف الإنسانية الجياشة، كما تنشر العواطف المريضة التي تدعو إلى الكراهية والتعصب والتكفير، لذلك فان توظيف الأجهزة الإعلامية من شبكة المعلومات الدولية (الانترنيت) يعبر العالم إلى الصحافة المحلية والإقليمية ضرورة لغرض نشر الفكر الشرعي والمبادئ الإنسانية ومواجهة الصحافة الصفراء علنية كانت أم سرية[56].

2) المنبر الحسيني

المنبر الحسيني امتداد لثورة الإمام الحسين7 ودوره ووظيفته تتمحور حول الحفاظ على الدين وتبليغه الى الناس وترسيخه في نفوسهم وتربية الأجيال عليه، وإن أبرز أدواره في العصر الحاضر هو التصدي لدفع الشبهات المطروحة في مقابل الدين، خصوصاً تلك المنتشرة بين أفراد المجتمع والتي تساهم في تضليلهم وزيادة الصراعات بينهم، والابتعاد عن إثارة الشبهات المغمورة التي لا يعلم بها عامة الناس. ومن أدواره المهمة.

أوّلاً: بيان المفاهيم والتعاليم الإسلامية

الإمام الصادق7 يلتفت إلى الفضيل يقول له: >يا فضيل! أتجلسون، وتتحدثون؟» يعني تتحدثون بأحاديثنا ومناقبنا وفضائلنا وأحكامنا و... قال: بلى يا ابن رسول الله9 نجلس ونتحدث، فقال له الإمام الصادق7 >أما والله إنّي لأحبّ تلك المجالس، أحيوا أمرنا رحم الله من أحيا أمرنا»[57]، وورد في الرواية عن الإمام الرضا7:

(56) انظر: الشيخلي، عبد القادر، أسباب التكفير وآثاره وعلاجه، ص6174.

(57) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، ج12، ص20.

>من جلس مجلساً يُحيى فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب»[58]، إذن المنبر الحسيني بيان للتعاليم والمفاهيم الإسلامية.

ثانياً: صيانة المسلمين عن الانحراف

المنبر مسؤول عن صيانة المسلمين عن الانحراف والأفكار المنحرفة، فالمنبر مسؤول بالدرجة الأولى في هذا المجال، وقد كان أهل البيت: قد جعلوا من المنبر الحسيني منطلقاً لمواجهة الأفكار المنحرفة ولمناقشة الشبهات المنحرفة والتصدي لها، وهكذا من شتى الشئون التي ترجع إلى صيانة المسلمين عما يضر بأخلاقهم وآدابهم ويحفظهم مما قد يحيق بهم من عوامل الفساد الاجتماعي، ويدفع عنهم ما يصيبهم من ظلم الظالمين وحقد الحاقدين على الإسلام وأهله، وهذه الأمور كلها يتكفل بها المنبر الحسيني.

النقطة الثانية: تقوية شوكة الأمة الإسلامية

ويتمحور بنقاط ثلاث:

1) الوحدة بين المسلمين

إن قضية الوحدة الإسلامية تمثل أحد الحلول الجوهرية في مواجهة الكثير من مشاكل العالم الإسلامي، إذ تمت دراستها بشكل خاص عند السيد القائد علي الخامنئي (اعزه الله)، إن الكتب المقدسة الإسلامية، القران والسنة، مليئة بالمفاهيم التي تدعو المسلمين إلى الوحدة صراحة أو ضمنيا وتحذرهم من التفرقة[59]. إن الاهتمام بالخطاب الوحدوي يكتسي أهمية بسبب بذل التيارات والجماعات التكفيرية المساعي والعمل خلافا لتوجهات القرآن والسنة وفي سبيل التفرقة وتشرذم الأمة الإسلامية. على هذا أن السيد القائد وباستيعابه ضرورة وحدة المسلمين يعد الوحدة فريضة عاجلة للأمة الإسلامية: أن اتحاد المسلمين فريضة عاجلة، أن المذابح وسفك الدماء والإرهاب الأعمى والفجائع التي يخلقها هذا الإرهاب وتوفير الفرص للكيان الصهيوني الغاصب من نتائج الاختلاف والتفرقة بين الأمة الإسلامية[60].

من جهة أخرى يوصي سماحة القائد السيد الخامنئي~ بأنه يجب اجتياز الخلافات السطحية وتكوين الأمة الواحدة وفقا للنص القرآني: والحاجة الأخرى الأساسية للعالم الإسلاميّ هي الاتّحاد، ويجب تجاوز الخلافات

(58) المجلسي، العلامة محمد باقر، بحار الأنوار، ج1، 199.

(59) اميردوش، محمد حسين، تاملى بر مساله وحدت إسلامي از ديرباز تاكنون با تكيه بر جنبش اتحاد اسلامى، ص10.

(60) فرمانيان، مهدى، مجموعة مقالات المؤتمر العالمي آراء علماء الإسلام في التيارات المتطرّفة والتكفيرية، ج5، ص349.

الجزئية والخلافات المتعلّقة بالسلائق والاختلافات العقائديّة وتشكيل الأمّة الواحدة[61] {**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**}[62].

2) تقوية الحوار وتقريب المذاهب الإسلامية

ورغم ضخامة هذا التيار التكفيري بين المسلمين، ورغم وجود من يعمل على تظهيره، وتسويقه، يوجد في المقابل عمل منظم وهادف للتقريب بين المسلمين وتوحيدهم[63] كان يتفتق عنه بين الفينة والأخرى آراء وفتاوى جريئة، تعمل على محاصرة الآثار المدمرة لذلك التراث التكفيري على مستوى بث الفرقة بين المسلمين واشتعال النزاعات والفتن بينهم.

فعلى سبيل المثال جاء في البيان الصادر عن المؤتمر الإسلامي الدولي الذي عقد في عمان . الأردن سنة ٢٠٠٥م: >إن كل من يتبع أحد المذاهب الأربعة من أهل السنة والجماعة (الحنفي، والمالكي، والشافعي، والحنبلي) والمذهب الجعفري والمذهب الزيدي، والمذهب الأباضي والمذهب الظاهري، فهو مسلم لا يجوز تكفيره، ويحرم دمه وعرضه وماله... كما لا يجوز تكفيره، أي فيئة أخرى من المسلمين تؤمن بالله سبحانه وتعالى، وبرسوله9، وأركان الإيمان، وتحترم أركان الإسلام، ولا تنكر معلوما من الدين بالضرورة<[64]. وقد وّقع على هذا البيان الكثير من علماء المسلمين ومفتيهم[65].

إن كثيرا من الجهود الحثيثة بذل من قبل العديد من علماء المسلمين ومثّقفيهم في مسعى لتعريف المذاهب بعضها ببعض، وللتقريب بينها، وهي لا شك تؤتي نتائج طيبة في محاصرة التكفير المذهبي بين المسلمين[66].

3) التصدي الحاسم لإبادة الحركات التكفيرية.

العمل الأخير على مواجهة التكفيريين ممن لم ينفع معهم أسلوب الحوار والنصح والدعوة ويتم ذلك من خلال استخدام القوة العسكرية.

(61) مجموعة مقالات المؤتمر العالمي آراء علماء الإسلام في التيارات المتطرّفة والتكفيرية ،المصدر السابق، ج5، ص349.

(62) سورة الأنبياء، الآية: 92.

(63) انظر: مركز دراسات الوحدة الإسلامية، دور الجمهورية الإسلامية في إيران في الوحدة الإسلامية، ص١٠٧ ، ١٥٦. خازم، علي، تجمع العلماء المسلمين في لبنان: تجربة ونموذج، ص٤٩،٦١.

(64) مير آقايي، جلال الدين، التعددية المذهبية في الإسلام وآراء العلماء فيها، ص٣٩

(65) التعددية المذهبية في الإسلام وآراء العلماء فيها، المصدر السابق، ص٤٣،٦١.

(66) انظر: السحمراني، أسعد، ايها المسلمون... اتحدوا، ص٧٣، ١٢٦.

ويجب أن يُعمَد إلى ذلك التُّراث التكفيريّ بهدف تشريحه وتفكيكه ونقده، ومحاولة تعريته من أي نظرةٍ قداسويَّة تهدف إلى جعله متعالياً على النقد، إذ إنَّ هذا التُّراث تشكَّل في معظمِه متأثِّراً بظروف ومعطيَات غير صحيَّة، سياسيَّة أو غير سياسيَّة، وبخلفيَّات ثقافيَّة لا يُمكن الإدِّعاء بكونها خاليةً تماماً من شوائب غير إسلاميَّة، وهو ما أدَّى إلى إنتاج تُراثٍ مشوَّه في العديد من مفاصله ومعطيَاته، وتُراثٍ هجينٍ في العديد من أفكاره ومضامينه، والتي منها قضيَّة التكفير لعموم المسلمين أو الكثير منهم. ولذلك لا يُمكن علاج ظاهرة التكفير المُنفَلِت، ما لم يُعمَد إلى تعطيل ذلك التُّراث التكفيريّ وتفكيك ألغامه، التي ما فتئِت تنفجر بين المسلمين فِتَناً وإجراماً وجرأةً على الله ورسوله وقتلا للنفس التي حرَّم الله تعالى[67].

النتيجة:

والنتيجة التي ننتهي اليها في بيان (دراسة تاريخية في الأسس والأفكار للحركات التكفيرية)،هي كالتالي:

اولاً: أظهرت نتائج الدراسة، تاريخ ونشأة الحركات التكفيرية وان تاريخ التكفير ظاهرة ليست جديدة على المجتمع الإسلامي، بل إنها تمتد إلى العصر الإسلامي الأوّل، واستمرت ظاهرة التكفير عبر العصور إلى أن انتهت بالحركة التكفيرية في زماننا الحالي التي يمكن اعتبارها أخطر حركة تكفيرية ودموية عرفها التاريخ الإسلامي، وما تبلور عنهم من أفكار متطرفة وشاذة.

ثانياً: من نتائج الدراسة، هو عدم الخلط بين الحركات الاسلامية الاصلاحية، المسلحة المكافحة للاحتلال الاسرائيلي والاستعمار الخارجي، وبين الحركات التكفيرية؛ القائمة على العنف والارهاب وقتل الأبرياء وتشريدهم من ديارهم.

ثالثاً: أشارت نتائج الدراسة الى أن منهج الحركات التكفيرية هي وليدة من رحم السلفية، والفرقة الوهّابيّة ، وأثبتنا بالأدلة أن المنهج الذي سلكه التكفيريون، هو الذي وضع أساسه ابن تيمية ومحمد ابن عبد الوهاب، وبالتالي كان مصدر توجيهات الحركات التكفيرية، من الفرقة الوهابية التي هي الاخرى تستسقي جذورها من السلفية المتمثلة بابن تيمية وامثاله .

رابعاً: دلت النتائج على أن الحركات التكفيرية في القرن الحادي والعشرين حركات منظمة تبنتها دول استكباريه، اعتمدت على الدعم اللوجستي والمادي في تقويتها ونتشارها، وان الحكومات التي تدعمها وتحميها، إنّما تتحرّك كلّها باتّجاه النّوايا المبيّتة للاستكبار والصّهيونيّة؛ وإنّ كلّ ما يفعلونه إنّما يخدم أهداف أمريكا والدّول الاستعماريّة الأوروبيّة والكيان الصّهيونيّ المحتلّ، والشّواهد على ذلك كثيرة.

(67) الشقير، الشيخ محمد، ظاهرة التكفير في المجتمع الإسلامي عوامل النشأة وطرق العلاج، ص7.

خامساً: أنّ تيّار التّكفير استطاع أن يخدم الاستكبار العالمي بمحاربته وعدائه؛ للجمهورية الاسلامية، ولحركة حزب الله اللبناني، والحشد الشعبي، والحركات الاصلاحية الاخرى، وهذه الحركات معادية لأمريكا والاستبداد وعملاء أمريكا في المنطقة.

سادساً: أظهرت نتائج الدراسة، أن هذا النوع من التكفير يعود الى جهات اتخذت من الاسلام غطاءا في سبيل استغلال المغفلين من شباب المسلمين لمنع الدول الاسلامية من كل نمو وتطوير ، وبث الشقاق بينها لإبعادها عن التقارب والوحدة، والتفرقة بين المسلمين، والإخلال بالأمن العام، من الدمار والحرق والقتل والتفجير والتهجير، وتأثيرها السلبي على الحياة السياسية، والاقتصادية والتنموية في الحياة البشرية.

سابعاً: أن ما قامت به الحركات التكفيرية من اعمال ارهابية انما هي تصرفات تمثل آرائهم ومعتقداتهم ومن يقفون خلفهم، ولا تعبر عن حقيقة الدين الاسلامي الذي لا يجيز ترويع الامنين فضلا من قتلهم والاعتداء عليهم.

ثامناً: أظهرت نتائج الدراسة ان تشويه صورة الاسلام والمسلمين من قبل الاستعمار المتجسد بأمريكا وحلفائها هي مؤامرة خبيثة يراد منها؛ تنفير غير المسلمين من الدخول في الاسلام ، وذلك بالطعن فيه وفي اهله، وارهاب المسلمين الامنين وتشريدهم من بلادهم ونهب خيراتهم ، وبالتالي استعمارهم.

تاسعاً: ومن نتائج الدراسة، أن نعالج الحركات المتطرفة والجماعات التكفيرية، المنتشرة في شرق عالمنا الإسلامي وغربه، تربويا، وهو ما يتجسد في الأسرة، والمدرسة والجامعة؛ فان التربية السليمة القائمة على العقيدة الاسلامية الصحيحة هي طوق النجاة الذي يقي الفرد من الانحراف والمجتمع من التكفير وذلك بما تربى عليه المسلم من وازع ديني قوي يمنعه من الانحراف عن الطريق السليم. واجتماعيا وعلميا وثقافيا وإعلاميا، وقد يواجه بأسلوب آخر أكثر فاعلية وتأثيرا، كالوحدة بين المسلمين، فإن قضية الوحدة الإسلامية تمثل أحد الحلول الجوهرية في مواجهة الكثير من مشاكل العالم الإسلامي، ومنها التصدي للحركة التكفيرية، ومنها، تقوية الحوار وتقريب المذاهب الإسلامية، والعمل الأخير على مواجهة التكفيريين ممن لم ينفع معهم أسلوب الحوار والنصح والدعوة ويتم ذلك من خلال استخدام القوة العسكرية، التصدي الحاسم لإبادتهم.

عاشراً: خلاصة القول: ان الحركات التكفيرية مازالت تشكل خطراً على المجتمعات الاسلامية بل تشكل خطراً على الانسان والانسانية جميعاً في الحاضر والمستقبل.

وأخيرا نسأل الله أن ينفع بهذه البحث المتواضع المسلمين وطلاب العلم وعامة الناس، ونسأله سبحانه أن يوفقنا للتمسك بما جاء في كتابه وسنة نبيه المصطفى وأهل بيته الأبرار، على الوجه الذي يرضى به الله عنا,

وأن يجنبنا الابتداع في الدين, إنه سميع مجيب, والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله الطاهرين.

المصادر

* القرآن الكريم.

1) ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله، نواقض الاسلام، الناشر: وزارة الشؤون الاسلامية والاوقاف والدعوة والارشاد.
2) ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، الناشر: مكتبة الخانجي . القاهرة.
3) ابن دقيق العيد، محمد بن علي، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مكتبة السنة.
4) ابن فارس، احمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الاولى، دار إحياء الكتاب العربي، 1366 هـ القاهرة.
5) ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي، لسان العرب، بيروت، دار صادر، الطبعة الأولى، 2000م.
6) أبو زيد، أحمد محمد، من التبرعات إلى النفط: كيف تحول (داعش) إلى أغنى تنظيم إرهابي في العالم؟، المركز الإقليمى للدراسات الاستراتيجية، القاهرة، سبتمبر 2014م. الرابط: www.rcssmideast.org.
7) إدريس، محمد السعيد، الحرب على طالبان العرب.. داعش وخرائط التحالفات المحتملة، مجلة آفاق سياسية: المركز العربي للبحوث والدراسات، العدد 11، نوفمبر 2014م.

8) الأسفراييني، أبو المظفر طاهر بن محمد،(المتوفى: 471هـ)، التبصير في الدين وتميز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الناشر: عالم الكتب . لبنان، الطبعة الأولى، 1403هـ . 1983م.

9) الأشعري، أبو الحسن، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، 1411هـ . 1990م.

10) اميردوش، محمد حسين، تاملى بر مساله وحدت اسلامى از ديرباز تاكنون با تكيه بر جنبش اتحاد اسلامى، طهران، ناشر: مجمع جهانى تقريب مذاهب اسلامى 1384هـ ش.

11) الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد، المواقف، الناشر: دار الجيل . بيروت، تحقيق: د. عميرة، عبد الرحمن، الطبعة الأولى، 1997م.

12) باتريك كوكبيرن، ترجمة ميشلين حبيب، داعش عودة الجهاديين، دار الساقي، بيروت . لبنان, الطبعة الأولى، 2015م.

13) البحراني، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم، قواعد المرام في علم الكلام، نشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، طبع: مطبعة الصدر، التاريخ: 1406 . الطبعة الثانية.

14) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، بيروت، دار الفكر، 1401هـ . 1981م.

15) البغدادي، أحمد شمس الدين، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي، الفرق بين الفرق، الناشر: المكتبة العصرية . بيروت.

16) البغدادي، أحمد شمس الدين، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي، أصول الدين، الناشر: ktab INC، 2002م.

17) الجورشي، صلاح الدين، الحركة الإسلامية مستقبلها رهين التغييرات الجذرية، في عبدالله فهد النفيسي (تحريروتقديم)، الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية . أوراق في النقد الذاتي، الطبعة الاولى، مكتبة مدبولي . القاهرة، ١٩٨٩م.

18) الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطارالناشر: دار العلم للملايين . بيروت الطبعة: الرابعة 1407هـ . 1987م.

19) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت: لإحياء التراث، الطبعة الثانية، 1414هـ ق.

20) حسب الله، اكرام بشير أحمد، كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية أبو حاتم الرازي، رسالة مقدمة إلى جامعة الخرطوم لنيل درجة ماجستير الآداب في اللغة العربية، أصول الدين.

21) خازم، علي، تجمع العلماء المسلمين في لبنان: تجربة ونموذج، دار الغربة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

22) الخضير، إبراهيم بن حسن: من يحمل أفكارا ضلالية يلجأ إلى العنف لاقناع الآخرين بما يؤمن به، جريدة الرياض عدد 8 صفر 1426هـ الموافق 8/ 3/ 2005م. جريدة الرياض، هي صحيفة يومية عربية سعودية تصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية، ويرأس تحريرها الأستاذ فهد بن راشد العبد الكريم اعتباراً من الأوّل من أغسطس عام 2015م.

23) خطاب الولي 2014م، إعداد: مركز نون للتأليف والترجمة، نشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، الطبعة الأولى، 1436هـ . 2015م

24) دراسات في علم الأصول، تقرير بحث السيد الخوئي لسيد الشاهرودي، تحقيق: تقرير بحث السيد الخوئي لسيد علي الشاهرودي، المطبعة: محمد، الناشر: مركز الغدير للدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، سنة الطبع: 1419هـ . 1998م.

25) الرفاعي، السيد يوسف بن السيد هاشم، نصيحة لإخواننا علماء نجد، الناشر: دار أقرا، الطبعة الأولى.

26) السحمراني، أسعد، أيها المسلمون... اتحدوا، الناشر: دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.

27) السديسي، توفيق عبد العزيز، الأمن الفكري والغلو، جريدة الجزيرة، الرياض، 25 جماد الأولى 1430هـ الموافق 20/ 5/ 2009م.

28) الشقير، الشيخ محمد، ظاهرة التكفير في المجتمع الإسلامي عوامل النشأة وطرق العلاج، مجلة المنهاج، العدد: 56، السنة الرابعة عشر شتاء 1431هـ . 2010م.

29) شقير، محمد، ظاهرة التكفير المذهبي بين الديني والفقهي والسياسي، مقال منشور في مجلة المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، العدد 81، رمضان وشوّال 1431هـ .

30) الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، المطبعة: دار المعرفة، نشر: دار المعرفة . بيروت . لبنان، تحقيق: محمد سيد كيلاني.

31) الشيخلي، عبد القادر، أسباب التكفير وآثاره وعلاجه، مركز الملك عبد الله للدراسات الإسلامية، المعاصرة وحوار الحضارات، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

32) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الناشر: مدرسة الإمام علي ابن أبي طالب7، الطبعة الأولى، 1382ه ش . 1424ه ق.

33) فرمانيان، مهدى، مجموعة مقالات المؤتمر العالمي آراء علماء الإسلام في التيارات المتطرّفة والتكفيرية، الناشر: دار الإعلام لمدرسة أهل البيت:، قم المقدسة.

34) المجلسي، العلامة محمد باقر، بحار الأنوار، تحقيق، محمد باقر البهبودي، نشر مؤسسة الوفاء، بيروت، الطبعة الثانية، 1403ه .

35) مجموعة باحثين: جماعات العنف التكفيري: الجذور، البنى، العوامل المؤثرة، نشر: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، 2016م.

36) مجموعة مؤلفين، العقلانية الدينيّة . الجاهليّة المعاصرة ، نشر الجمهورية الإسلامية، قم، شارع معلم، الطبعة الأولى.

37) محمد فتحي عثمان، التجربة السياسية للحركة الإسلامية المعاصرة، منشورات مركز دراسات المستقبل الإسلامي، دار المستقبل، الطبعة الأولى، 1991م.

38) مقاتل بن عطية، ابو الهيجاء شبل الدولة بن مقاتل البكري نسباً الحنفي مذهباً ،أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد، المحقق: الشيخ محمّد جميل حمّود، النشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. الطبعة الاولى.

39) الميانجي، الشيخ علي الأحمدي ، الأسير في الإسلام، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، المطبعة: مؤسسة النشر الإسلامي . قم، الطبعة الثانية، 1422ه .

40) مير آقايي، جلال الدين، التعددية المذهبية في الإسلام وآراء العلماء فيها، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، طهران، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.

41) الميلاني، علي أصغر بن نور الدين بن محمد هادي الحسيني ، الإمامة في أهمّ الكتب الكلاميّة وعقيدة الشيعة الإماميّة ، الناشر: منشورات الشريف الرضي الطبعة الاولى.

42) ناصح عبد القادر، لعقيدة القتالية لداعش، مذكرة نهاية الدراسة لنيل شهادة الماستر، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم كلية الحقوق والعلوم السياسية قسم العلوم السياسية.

43) النجار، ناجح إبراهيم، هشام النجار، داعش.. السكين التى تذبح الإسلام، دار الشروق، الطبعة الأولى.

44) النوبختي، أبو محمد الحسن بن موسى ، فرق الشيعة، تحقيق: السيد هبة الدين الشهرستاني، طبعه استانبول سنه 1931 اديان. علوم الدين.

45) نور الموسوي، كاظم راضي خضر، ظاهرة التكفير الجذور والأسباب، جامعة المصطفى العالمية، قم المقدسة، kalnoor@yahoo.com.

46) النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، نشر: دار الفكر . بيروت . لبنان.

47) الورداني، صالح، فرق أهل السنة جماعات الماضي وجماعات الحاضر، المطبعة: ستاره ـ قم، لناشر: مركز الأبحاث العقائدية، قم . إيران، الطبعة الأولى، 1424هـ .

48) اليزدي، محمّد كاظم الطباطبائي، العروة الوثقى، الناشر: مكتب آية الله العظمى السيد السيستاني، المطبعة: ستاره.